الثـاني (نوفمبر) ١٩١٧، الذي أعلن فيه ان الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف الى انشـاء وطن قومي للشعب اليهـودي في فلسـطين[٣]. مع التقدير الكامل لحقيقة الضغوط الصهيونية ولاعتبارات السياسة الداخلية البريطانية، الا ان الاعتبارات الاستراتيجية في فترة الحرب وقفت، أيضاً، وراء اعطاء ذلك التصريح، حيث اعتقد صانعو السياسة البريطانية ان فلسـطين اليهودية سوف تؤمن موقف بريطانيا في العالم العربي بعد الحرب، وتحمي، كذلك، الطريق الحيوية الى الهند، فضلاً عن الاهتمام بكسب الدعم السياسي والمالي من يهود العالم.

لقد كانت ارادة الدولة الامبريالية حاسمة في خلق الكيانات التي أصبحت، بعد ذلك، دولاً في الشرق العربي. وفي فلسطين، فان ارادة تلك الدولة الامبريالية (أي بريطانيا) اتجهت الى خلق دولة يهودية وليس دولة عربية باعتبارها الامر الاكثر انسجاماً مع مصالحها. أما عرب فلسطين سواء أتحدثنا عنهم بشكل «عام» أو تحدثنا عن «البرجوازية الفلسطينية» على وجه التحديد، فلم يكن بامكانهم ـ وقد حرموا من ذلك العنصر الخارجي الضروري ـ أن يقيموا، وحدهم، دولة فلسطين العربية. ان الشرط الامبريالي الخارجي لم يتوافر لخلق دولتهم.

وطوال العقود الثلاثة التالية على صدور تصريح بلفور، فان جوهر المواجهة بين الانظمة (أو، بتعبير أدق، مشروعات الانظمة) العربية، وبين الحركة اليهودية المتنامية في فلسطين، كان محاولة انتزاع اعتراف الدول الامبريالية الغربية (وبريطانيا على وجه الخصوص) بحق عرب فلسطين في انشاء دولتهم العربية دون جدوى. ولان رضى بريطانيا في تلك الفترة كان امراً ضرورياً لان تستقر هذه الانظمة، فان حماسها (أي تلك الانظمة) للقضية الفلسطينية كان يقف في اللحظة التي يضر هذا الحماس بها، أي بمشروعاتها الخاصة لبناء دولها المستقلة.

وبعبارة محدّدة، فان الدور المحوري للدولة الامبريالية في خلق «الدولة» في العالم الثالث لا يفسّر فقط قيام «الدولة» اليهودية وعدم قيام «الدولة» العربية في فلسطين، ولكنه يفسر، ايضاً، الحدود التي كانت تقف عندها قدرة الانظمة العربية الجنينية في المشرق العربي في تناولها للقضية الفلسطينية. فلقد أَلحّ الشريف حسين ـ بعد انتهاء الحرب ـ على بريطانيا للوفاء بوعودها التي تضمنت الاعتراف بفلسطين كجزء من الدولة العربية التي اتفق عليها معهـا. واقترح الحسين، في اتصالاته مع البريطانيين خلال الاعوام ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤، ان تجعل فلسطين دولة مستقلة ذات حكومة وطنية تمثل كل السكان، ومن بينهم اليهود، ويمكنها الانضمام الى اتحاد مع الدول العربية؛ ولكن هذه الجهود ذهبت سدى، وانتهى الامر بتخلي بريطانيا عن الحسين ونسيان مساعداته[٤].

ولم يكن غريباً، اذاً، ان ابناء الحسين، (فيصل وعبدالله)، اثر اعتلائهما سدتي الحكم في العراق وشرق الأردن، لم يكونا في موقف يتيح لهما حرية العمل ازاء القضية الفلسطينية. فقد تعهد فيصل، قبل اعتلائه العرش، ان تقتصر جهوده على العراق وحدها، ويمتنع عن أي نشـاط معـاد لبريطانيا وفرنسا. كذلك تعهد الامير عبدالله، كشرط مسبق، ان يتجنب اثارة مشاكل على الحدود، سواء ضد فلسطين أو ضد مناطق النفوذ الفرنسي. وبعبارة موجزة، فان اعتبـارات المحـافظة على العنصر الخارجي الضروري لعملية «بناء الدولة» وضعت حدوداً صارمة على قدرة الانظمة الوليدة على معالجة المسألة الفلسطينية. وفي الوقت الذي انشغلت